مواطن التوبة في سورة التوبة

دراسة موضوعية

إعداد

م.م. إيناس فليح خلاوي

جامعة بغداد - كلية التربية للبنات

قسم علوم القران والتربية الإسلامية

الخبير اللغوي

د. عبد الله حميد حسين

ملخص البحث

سورة التوبة هي البلاغ الأخير للبشرية، وقد أنزلت قبل ختام القرآن ووداع النبيّ (صلّى الله عليهِ وسلّم)، وعلى الرغم من انّ السورة قد تضمنت التهديد الشديد للكفار والمنافقين والدعوة الشديدة للمؤمنين إلى الدفاع عن دينهم، لكنّها حرصت على إبقاء باب التوبة مفتوحا لجميع الناس، فإنّها تدعوهم إلى التوبة مرات عديدة، سياقها رائع غاية في الحكمة فإنها تبدأ بالتهديد وتحريض المؤمنين وفضح المنافقين ثم باب التوبة، ثم التهديد ثم التوبة، وكذلك المؤمنون تطالبهم بالتوبة فهي تتحدث عن أخطاءٍ ثم تفتح باب التوبة، حتى بلغت مواطن التوبة في السورة اثنتا عشر موطناً.

Abstract

Surat 'Atawba' is the lost teaching for humanities. It was descended before completing the Holy Quran and the death of the prophet Mohammad (peace and blessing be upon him). Although the surah included series threatening to the unbelievers and hypocrites and urging the believers to defend their religion, but it kept the door of repentance open for all people. This surah called people for the repentance several times. Its context was precisely arranged since it started with the threatening and urging the believers to defend their religion besides revealing the hypocrites, then the subject of repentance , then the threatening followed by the repentance. Even the believers were asked to declare their repentance since it talked about sins then it opened the door of repentance. The repentance in this surah was mentioned in twelve situations.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

وبعد...

للتوبة أهمية عظيمة في الإسلام وثمرات جليلة لذا أمر الله تعالى بها عباده المؤمنين في كتابه الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ .....وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ..... ﴾ النور: ٣١، وحثّ عليها وانه ما من إنسان إلا وهو محتاج إلى التوبة.

فجاءت سورة التوبة لتفتح باب التوبة، وعلى الرغم من أنها نزلت في فضح الكفار وأعمالهم، وفضح المنافقين لكنها حرصت على إبقاء باب التوبة مفتوحاً لجميع الناس، فإنها تدعوهم إلى التوبة مرات عديدة، وهذا كان السبب وراء اختياري لهذا الموضوع، فمن خلال الاستقراء لآياتها، تبين أن سياقها رائع غاية في الحكمة فإنها تبدأ بالتهديد وتحريض المؤمنين وفضح المنافقين ثم فتح باب التوبة، ثم التهديد ثم التوبة، حتى المؤمنين تطالبهم بالتوبة فهي تتحدث عن أخطاء ثم تفتح باب التوبة، ثم تدعوا المؤمنين للقتال ونصرة الدين والتحفيز لإلجاء المنافقين على التوبة وقتالهم لدفعهم للتوبة، وقد ورد ذكر كلمة (التوبة) في هذه السورة (١٧) سبع عشرة مرة.

ولأهمية التوبة اليوم للتطهير من دنّس النفس بالمعاصي والذنوب ارتأيت الكتابة فيه، فجاء البحث موسوماً بـ **(مواطن التوبة في سورة التوبة)** في مقدمة ومبحثين، أمّا المبحث الأول فهو بيان لمعنى التوبة، واطلاقاتها في القران الكريم، وشروط تحققها وكان في ثلاث مطالب.

أمّا المبحث الثاني، فكل مطلب فيه يعبر عن موطن من مواطن التوبة أي مواضع للتوبة منها مواطن خاصة بتوبة الكفار والمنافقين ومنها ما كانت خاصة بتوبة المؤمنين.

خطــة البحث

المقدمـــة

المبحث الأول: ماهية التوبة، واشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى التوبة لغة واصطلاح.

المطلب الثاني: ألفاظ التوبة في القران الكريم.

المطلب الثالث: شروط تحقق التوبة.

المبحث الثاني: مواطن التوبة، واشتمل على اثني عشر مطلبا:

المطلب الأول (الموطن الأول): التهديد والتهكم بأسلوب الازدراء.

المطلب الثاني (الموطن الثاني): تحديد المدة بتخلية السبيل للدخول في الإسلام.

المطلب الثالث (الموطن الثالث): معامل الكفار معاملة الإخوان.

المطلب الرابع (الموطن الرابع): الإعجاز في توبة المشركين

المطلب الخامس (الموطن الخامس): توبة الله على المؤمنين وتذكيرهم بالنصر

المطلب السادس (الموطن السادس): تهديد المنافقين والمرتدين

المطلب السابع (الموطن السابع): الندم على ما فات والتحذير من إيثار الدعة

المطلب الثامن (الموطن الثامن): الحث على التوبة والصدقات

المطلب التاسع (الموطن التاسع): التخويف الشديد للمتخلفين والحث على التوبة

المطلب العاشر (الموطن العاشر): استمرار التوبة من صفات المؤمنين

المطلب الحادي عشر (الموطن الحادي عشر): توبة الله على النبي والمهاجرين والأنصار

المطلب الثاني عشر (الموطن الثاني عشر): التنويه بشأن المخلفين وضمهم مع المقطوع عليهم بالرضا

الخاتمـــة

هذا وقد بذلت جهدي في هذا البحث، فما كان صواباً فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة

المبحث الأول: ماهية التوبـــــة

المطلب الأول

مفهوم التوبـــة لغة واصطلاحاً

١- التوبة لغـــــة:

التوبـــة: (الرجوع من الـــذنب ..... وتـــاب إلـــى الله: أنـــاب ورجـــع عن المعصية إلى الطاعة)[١].

وفي معجم مقاييس اللغة: (توب: التـــاء والـــواو والبـــاء كلمـــة واحـــدة تدلُّ على الرجوع، يقال: تاب من ذنبه، أي رجع عنه)[٢].

ويقول الراغب فـــي مفرداتـــه: (التـــوب تـــرك الـــذنب علـــى أجمـــل الوجوه وهذا أبلغ وجوه الاعتذار، فان الاعتـــذار علـــى ثلاثـــة أوجـــه: أمّـــا أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول:فعلـــت لأجـــل كـــذا، أو فعلـــت وأســـأت وقـــد أقلعت ولا راجع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة)[٣].

والملاحظ على هذه التعريفات انها كلها متفقة على معنى الرجوع من الذنب فهي وان اختلفت لفظاً إلا أنها متفقة من حيث المعنى.

فالتوبة في اللغة: الرجوع من الذنب والإقلاع عنه.

٢- التوبة في الاصطلاح:

قال الإمام ابن القيم رحمـــه الله تعـــالى: (التوبـــة هـــي الرجـــوع ممّـــا يكرهه الله ظاهراً وباطناً، إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً)[٤].

قال الإمام ابن حجر رحمـــه الله تعـــالى: (التوبـــة تـــرك الـــذنب علـــى أحد الأوجه)[٥].

وأمّا التوبة النصوح فهي (توثيق بـــالعزم علـــى ألا يعـــود لمثلـــه. قـــال ابن عباس رضي الله عنهمـــا: التوبـــة النـــصوح النـــدم بالقلـــب، والاســـتغفار باللسان، والإقـــلاع بالبـــدن، والإضـــمار علـــى ألا يعـــود .... وقيـــل التوبـــة

النصوح: ألا يبقى على عمله أثراً من المعصية سراً وجهراً، وهذه هي التوبة التي تورث صاحبها عاجلاً وآجلاً)[٦].

وجعل الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى النصح في التوبة ثلاثة أشياء:-

١- تعميم جميع الذنوب واستغراقها بها بحيث لا يدع ذنباً إلا تناوله.

٢- إجماع العزم والصدق بكليته عليها، بحيث لا يبقى عنده تردّد، ولا تلوّم، ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادلاً بها.

٣- تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله تعالى وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة ممّا عنده[٧].

المطلب الثاني
الألفاظ ذات الصلة بالتوبة في القران الكريم

للتوبة في القرآن الكريم إطلاقات وردت على ثلاثة أوجه[٨]:-

١- بمعنى التجاوز والعفو، وهذا مقيد بـ "على" كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾[٩].

٢- بمعنى الرجوع والإنابة وهو مقيد بـ "إلى" كقوله تعالى: ﴿ ..... وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[١٠].

٣- بمعنى الندامة، وهذا غير مقيد لا بـ "إلى" ولا بـ "على" كقوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾[١١].

المطلب الثالث
شروط تحقق التوبة

إن للتوبة شروط ذكرها الإمام النووي رحمه الله تعالى بقوله: (التوبة واجبة من كل ذنب، فإذا كانت المعصية بين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها شرط وهي:-

١- أن يقلع عن المعصية.

٢- أن يندم على فعلها.

٣- أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً، فإن فقد هذه الشرط لم تصح توبته.

ويزاد شرط رابع إذا كان الذنب يتعلق بحق آدمي: (أن يبرأ من حق صاحبه، فإن كان مالاً أو نحوه ردّه إليه، وان كان حدّ القذف مكنّه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحله منها)[١٢].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في التوبة عن الذنوب التي فيها حق العباد: (من العدل أن يُمكن المظلوم عن الانتصاف ثم بعد ذلك الشفاعة إلى المظلوم)[١٣].

المبحث الثاني: مواطن التوبة

الموطن الأول: التهديد والتهكم بأسلوب الازدراء

قال تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ التوبة:٣.

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى: أذن الله تعالى في معاهدة المشركين، فاتفق المسلمون مع رسول الله ﷺ، وعاهدهم ثم إن المشركين نقضوا العهد فأوجب الله النبذ إليهم[١٤]. فنزلت سورة براءة وشاء الله أن تقرع مسامع الحجاج في السنة التاسعة للهجرة كي يحددوا موقفهم ممن حاربوا الإسلام وظلموا أمته ودنسوا شعائره[١٥]. قيل لأولئك الحجيج [وأذان من الله ورسوله]، الأذان في اللغة الإعلام[١٦]، أي إعلام

من الله ورسوله وتقدم إنذار إلى الناس يوم الحج الأكبر –وهو يوم النحر[١٧]– الذي هو أفضل أيام المناسك وأظهرها وأكبرها جميعاً –إن الله بريء من المشركين ورسولُهُ –بضم رسوله، أي بريء منهم[١٨].

والبراء هو البعد والخلاص والعداوة، بعد الاعذار والإنذار، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة: البغض والبعد)[١٩]. فقد ابتدأت الآية القرآنية بهذه الشدة الملفتة لدعوة المشركين للتوبة، فالتهديد إذاً كان من أجل التوبة لا من أجل الانتقام، ويستمر سياق الآية في إظهار الشدة وذلك يتضح من تنوع صيغ خطاب الله تعالى للمشركين على أنواع عدة، منها خطاب الله تعالى للمشركين بالضمير (كاف) إذ وردت هذه الصيغة مع حروف الجر كاللام في قوله تعالى: ﴿ ..... فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ ..... ﴾.

وفي هذا الأمر التفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد[٢٠]، ورغم هذه الشدة يفتح باب التوبة بقوله (فَإِن تُبْتُمْ) من الشرك والضلال فهو خير لكم بالدارين، (وَإِن تَوَلَّيْتُمْ) أي استمررتم على ما أنتم عليه فاعلموا انكم غير معجزي الله[٢١].

وهذا التخيير هو للمشركين المعروفين بالغدر والخيانة، أمّا المشركون الذين يحترمون كلمتهم فلا عدوان عليهم ولا تضييق[٢٢].

ويختم الله تعالى هذا الموطن بتبشيرهم بالعذاب من قتل وأسر وسبيّ، فقال ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، وفي الأموال كما قال تعالى: ﴿ ..... وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٢٣].

فلفظ البشارة كان وروده في هذا الموطن على سبيل الاستهزاء بهم كما يقال: تحيتهم الضرب وإكرامهم الشتم[٢٤]. وهي أي البشارة أصلها الإخبار بما يظهر سروراً في المخبور له[٢٥]. واستعيرت هنا

للإنذار الذي هو ضد الإخبار بما يسر بإدخاله في جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء[٢٦]، نحو قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٧]، ويخص هذا النوع باسم التهكمية أو التلميحية[٢٨].

الموطن الثاني: تحديد المدة بتخلية السبيل للدخول في الإسلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ التوبة: ٥.

روي ان النبي ﷺ لما خرج إلى غزوة تبوك، جُعل المشركون ينقضون العهد، فنبذ رسول الله ﷺ العهد إليهم.

وقد يقول قائل: كيف يجوز ان ينقض النبي ﷺ العهد؟

الجواب: لا يجوز ان ينقض العهد إلا على ثلاثة أوجه، وأحدها: ان تظهر منهم الخيانة والغدر فينتقض العهد ويكون الغرض من إظهار هذه البراءة ان يظهر لهم انه لا يعود إلى العهد وانه عازم على المحاربة والمقاتلة[٢٩].

والأمر في هذا الموطن بالقتال جاء للتذكير بالتوبة لحث الكفار عليها، ذكر الامام الرازي رحمه الله تعالى: (وانه تعالى ضيق عليهم جميع الخيرات وألقاهم في جميع الآفات، ثم بين أنهم لو تابوا عن الكفر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فقد تخلصوا عن كل تلك الآفات)[٣٠].

أي ان التوبة إذا حصلت منهم كانت سبباً لتحقق الأمن لهم، قال تعالى: (فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ)، ولما كان المعقب بالتوبة هو الأمر بقتالهم والترصد لهم ناسب ان يفرّع على توبتهم عدم التعرض لهم بسوء[٣١].

وذكرت الصلاة والزكاة مع التوبة، لأن التوبة مفضية إلى التزام الدين كله، فان التائب إنما يتوب من ترك المأمورات، ومن فعل

المحظورات فيرجع من معصية الله إلى طاعته تائباً حافظاً لحدود الله[٣٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (وإنما سمي تائباً لرجوعه الى أمر الله من نهيه، والى طاعته من معصيته)[٣٣].

ولأهمية التوبة إن الله تعالى أضفى على التوبة شرف ارتباطها بأسمائه الحسنى، حين قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ من أمثلة المبالغة يدلان على شدة الغفران وشدة الرحمة[٣٤].

جاء في اثنتين وسبعين مرة الاقتران بين الغفور والرحيم، ولا شك ان الملازمة شديدة بين هذين الاسمين، ولذلك كثر الاقتران بينهما. وان الله عز وجل من رحمته ان يغفر ذنوب المذنبين، فيتجاوز عنها ويستر على أصحابها، فالمغفرة أمر لازم للرحمة لان المغفرة إنما تكون بسبب رحمة الله تعالى فكل رحمة مشتقة من رحمته[٣٥].

الموطن الثالث: معاملتهم معاملة الإخوان واستمالتهم للدخول في الإسلام

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ سورة التوبة: الآية ١١.

بعد أن قال تعالى محرضاً على معاداة المشركين والتبريء منهم، ومبيناً أنهم لا يستحقون ان يكون لهم عهد لشركهم بالله إذ أن عدم مراعاتهم حق الحلف والعهد خلقٌ متأصل فيهم[٣٦]. فتح لهم باب التوبة اذ إن فيهم من وفيّ بعهدهِ[٣٧]، وفي هذا الموطن تفريع حكم على حكم لتعقيب الشدة باللين إن هم أقلعوا عن عداوة المسلمين بأن دخلوا الإسلام وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة أصبحوا أخواناً للمؤمنين[٣٨]، فعلق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة فإذا لم يفعلوا لم يكونوا أخوة للمؤمنين فلا يكونون مؤمنين[٣٩].

مسألة: مقارنة بين تخلية السبيل –وإخوانكم.

لمّا كان المقام هنا لذكر عداوتهم مع المؤمنين جُعلت توبتهم سبباً

للإخوة مع المؤمنين، بخلاف مقام قوله تعالى: ﴿..... فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ..... ﴾[٤٠]، حيث ان المعقب بالتوبة هناك هو الأمر بقتالهم والترصد لهم فناسب ان يفرع على توبتهم عدم التعرض لهم بسوء وقد حصل من مجموع الآيتين ان توبتهم أمنهم وأخوتهم[٤١].

الموطن الرابع: الإعجاز في توبة المشركين بعد الأمر بالقتال

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾.سورة التوبة: الآية ١٥.

ذكر سبحانه وتعالى في الاية التي قبلها انه عندما يقاتل المؤمنون الكفار يصيب الكفار العذاب والخزيّ والهزيمة، والنصر الذي سيحققه المؤمنون يشفي صدور المؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم[٤٢]، ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[٤٣].

وأسند التعذيب إلى الله وجُعلت أيدي المسلمين آلة له تشريفاً للمسلمين[٤٤]، ونلمس انه سبحانه وتعالى رغم تعذيبه لهم، وتشديد النكير عليهم إلا انه يفتح باباً للتوبة وبهذا يعطي المؤمنين سماحة إيمانية فلا يصحبوا التعالي على هؤلاء إن جاءوا تائبين مؤمنين[٤٥]. والتوبة حكمتها منع تعادي الكفار لان مشروعية التوبة هي رحمة من الحق سبحانه[٤٦].

والإعجاز في توبة المشركين بعد الأمر بالقتال، ان سنة الله اقتضت ان الناس إذا رأوا انتصار أعدائهم عليهم في كل معركة يميلون إليهم، ويقبلون دينهم، فقتال المؤمنين للكافرين يتيح الفرصة لكثير من الكافرين فيسلمون، وهو قوله تعالى: (وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ) وقوله: (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) تقرير للأمر بالقتال والنتائج الطيبة المترتبة عليه آخرها ان يتوب الله عليهم[٤٧].

الموطن الخامس: توبة الله على المؤمنين، وتذكيرهم بالنصر وابتلائهم بالتولي والهزيمة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ ﴾

امتن الله على عباده المؤمنين بنصره إياهم في مواطن كثيرة من مواطن اللقاء، عندما أخذوا بالأسباب وتوكلوا على الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ ..... ﴾[٤٨]، حتى في يوم حنين الذي اشتدت عليهم فيه الأزمة، وغرّتهم كثرتهم إذ قالوا: لن نُغلب اليوم من قلة[٤٩]، فوقع المسلمون في الخطأ حيث ولّوا مدبرين[٥٠].

فكانت الهزيمة للمسلمين في بادئ الأمر ثم كانت العاقبة النصر والظفر[٥١]، وتحقق النصر والظفر للمسلمين بما أمدهم به رب العزة من نعم، منها انه أنزل السكينة عليهم والطمأنينة والرحمة، وانزل جنوداً معونة للمسلمين، وعذابه للكافرين بالهزيمة والقتل[٥٢].

وخطأ التولي كان لابد له من توبة، فيأتي قوله تعالى (ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ ....) إشارة إلى توبته على من تولّى يوم حنين[٥٣]، فجاءت التوبة في هذا الموطن من التولي والهزيمة والتخاذل.

الموطن السادس: تهديد للمنافقين والمرتدين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾ ﴾ سورة التوبة: الآية ٧٤.

روي عن قتادة: أنها نزلت في عبد الله بن أُبي، وذلك انه اقتتل رجلان جهني وأنصاري، فعلا الجهني على الأنصاري، فقال عبد الله للأنصار: ألا تنصروا أخاكم؟ والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك، وقال: ﴿ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا

ٱلْأَذَلَّ ﴾[٥٤]، فسعى بها رجل من المسلمين إلى النبي ﷺ فأرسل إليه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قاله، فانزل الله فيه هذه الآية[٥٥].

فالمنافقون كعادتهم إذا ظهر شيء من نفاقهم أو سُمعت عنهم كلمة كفر حلفوا بالله انهم ما قالوا ذلك، فيجعلون حلفهم ترساً يقيهم من مؤاخذة النبي ﷺ بذنبهم[٥٦]. والمنافقون أسوأ أنواع الكفار لأنهم زادوا على كفرهم الكذب والمراوغة ونقضهم لعهد الإسلام، وذكرت هذه الآية شواهد كفرهم من ايمانهم الكاذبة وغيرها، وعلى عادة القرآن في تعقيب الوعيد بالوعد والعكس فلمّا أمر بجهادهم (جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ)[٥٧]، والغلظة عليهم وتوعدهم بالمصير إلى النار فرّع على ذلك الإخبار بان التوبة مفتوحة لهم وان تدارك أمرهم في مكنتهم[٥٨]. قال تعالى: (فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا)، بين الله تعالى ان من كفر بعد إسلامه إنْ تاب كان خيراً له، وألا يعذب عذاباً أليماً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكونهم اظهروا الكفر والردة لهذا دعاهم إلى التوبة فقال: (فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا)وان يتولوا[٥٩] عن التوبة (يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا) وهذا لمن أظهر الكفر فيجاهده الرسول بإقامة الحد والعقوبة)[٦٠].

فتوعدهم الله بتعجيل الانتقام منهم، والا يصدق لهم قولاً ولا يبر لهم قسماً[٦١]، وتتابعت الآيات على نفس الوتيرة تهديداً ووعيداً وفي النهاية فتح باب التوبة والتذكير بها.

الموطن السابع: الندم على ما فات والتحذير من إيثار الدعة والرضا بسوء جوار المنافقين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾سورة التوبة: الآية ١٠٢.

نزلت في قوم كانوا قد تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك منهم أبو لبابة[٦٢]، فربطوا أنفسهم إلى سواري المسجد توبة منهم من

ذنبهم[٦٣]. كالذي كان تخلفهم عن رسول الله ﷺ وتركهم الجهاد معه، لا لكفرٍ أو نفاقٍ ولكن لكسلٍ ثم ندموا على ما فعلوا ثم تابوا[٦٤]. والاعتراف بالذنب لا يكون توبة الاّ إذا اقترن به الندم على الماضي والعزم على تركه في المستقبل، فقد أجمع العلماء على أن الندم هو الركن الأساس في التوبة، لا تكون التوبة بدونه، فمن لم يندم على ذنبه خوفاً أو حياءاً من ربه فليس بتائب. فاعترافهم بالذنب يشير إلى الندم الحاصل في القلب، فندموا على ما فرطوا وجاءوا يطلبون العفو والمغفرة[٦٥]. جاء في الحديث (الندم توبة)[٦٦]، والدليل على توبتهم قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، والمفسرون قالوا ان عسى تدل على الوجوب[٦٧].

وتكرر اقتران التوبة بأسماء الله الحسنى للدلالة على شرف التوبة ومنزلتها واستدعائها لآثارها، والرحمة أحب إلى الله من العدل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[٦٨].

وختمت الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه، وهو تعليل لما تفيده كلمة عسى من وجوب القبول، فإنها للإطماع الذي هو من أكرم الأكرمين[٦٩].

الموطن الثامن: الحث على التوبة والصدقات والإخبار بحط الذنوب

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ سورة التوبة: الآية ١٠٤.

لما حكى الله تعالى عن القوم الذين تقدم ذكرهم في الموطن السابق أنهم تابوا عن ذنوبهم، أمر الله نبيه الأمين ان يأخذ الصدقة منهم، وإنما هذه الصدقة المطلوبة من الصدقات التي تكفر المعاصي، وقد كان بعض الخطائين الذين تخلفوا عن تبوك من أراد التصدق بكل ماله تكفيراً عن خطئهم في التخلف وإحساساً بكبر ما ارتكبوا، واخذ الصدقات منهم يؤكد قبول توبتهم وترغيب من لم يتب في التوبة[٧٠].

وقوله تعالى (أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ) جرى على عادة العرب في إيهام المخاطب وإزالة الشك عنه ان يقولوا –أما علمت ان من أحسن إليك يجب عليك شكره– فبشر الله تعالى هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ثم زاده تأكيداً بقوله (هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ).

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وأيضاً دلت النصوص من الكتاب والسنة على أنْ عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب الأول–التوبة–)[٧١].

الموطن التاسع: التخويف الشديد للمتخلفين والحث على التوبة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ سورة التوبة: الآية ١٠٦.

وآخرون أي مَن بقي من المتخلفين ممن لم يتب الله عليه، وكان أمرهم موقوفاً إلى ان يقضي الله بما شاء وهؤلاء نفر ثلاثة هم كعب بن مالك[٧٢]، وهلال بن أمية[٧٣]، ومرارة بن الربيع[٧٤]، قد تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يكن تخلفهم نفاقاً ولا كراهية ولم يصرح القران بقبول توبتهم ولم يسمهم باليأس من غفرانه فوقفوا على قدم خجل متميلين بين الرغبة والرهبة امّا أن يعذبهم أو يتوب عليهم، وبقوا كذلك حتى تاب الله عليهم[٧٥].

الموطن العاشر: استمرار التوبة من صفات المؤمنين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة التوبة: الآية ١١٢.

ممّا يدل على مقام التوبة وأهميتها في الإسلام ان الله تعالى ابتدأ بها الأوصاف الصالحة المرتبة العالية من أهل الإيمان، فقال عز وجل:

(ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ...).

قال الامام ابن كثير رحمه الله تعالى: (هذا نعت المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال العظمية)[٧٦]، والتائبون هم الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات[٧٧].

الموطن الحادي عشر: توبة الله على النبي والمهاجرين والأنصار

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ ﴾ سورة التوبة: الآية ١١٧.

من جمال التوبة وحب الله لها، ذكرّ الله بها نبيه ﷺ وصحابته الكرام. وافتتاح الكلام بما يؤذن بالبشارة لرضى الله على المؤمنين الذين غزو في تبوك، فمن لطف الله وإحسانه توبته على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، وذلك لقيامهم بالأعمال الصعبة الشاقات[٧٨]. ولهذا قال: (ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ)، والمتأمل في قوله عز وجل في هذا الموطن ليعجب أن تكون التوبة على النبي والمهاجرين وهم مَن هم في سبقهم للإسلام، كما يتاب على الأنصار الذين آووا ونصروا، فيا ترى كيف يُتاب على من هذه أوصافه؟ وممّ يُتاب عليهم؟ إنها علامات تعجب كثيرة يثيرها هذا التعبير بالتوبة على من هذه أوصافه.

والمراد ان ندرك ان التوبة ليست بالضرورة توبة المذنبين بل قد تكون توبة المقصرين وانه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة حتى النبي والمهاجرون والأنصار[٧٩].

روي عن النبي ﷺ انه قال: (فو الله إني لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)[٨٠].

وفي هذا إبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله.

الموطن الثاني عشر: التنويه بشأن المخلفين وضمهم مع المقطوع عنهم

بالرضا وبعثاً للمؤمنين على التوبة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ سورة التوبة: الآيتان ١١٨- ١١٩.

وأخيراً توبة خاصة بالثلاثة المؤمنين الذين تخلفوا عن غزة تبوك[٨١]. فالتقاعس عن نُصرة الإسلام بحاجة إلى توبة. وغزوة تبوك قادها النبيّ ﷺ بنفسه، وأخبر بها والتجهّز لها دون غيرها من الغزوات وذلك لبعد المشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يقصده[٨٢]، فكان ذلك امتحاناً للمؤمنين بالثبات ومواجهة المشقة. وان الثلاثة الذين خلفوا منهم مؤمنون صادقون اختاروا الصدق فأمر رسول الله ﷺ بمقاطعتهم وهجرهم لأنهم تثاقلوا في السعي إلى الجهاد والنكوص في أداء الواجبات والتكاليف[٨٣].

وتصور لنا هذه القصة الحالة النفسية التي لازمت هؤلاء الذين خلفوا، وشدة هذه الصراعات النفسية داخل هؤلاء الثلاثة. اذ تضمنت القصة أساليب مؤثرة منها لإصلاح التأثير النفسي المتمثل بالهجر والمقاطعة وهما طريقة تأديبية لإصلاح الأفراد الذين أخطئوا حتى يرجعوا إلى الصواب ويتوبوا. وهذا الهجر بمنزلة التعزير لمن ظهر منه ترك الواجبات أو فعل المحرمات[٨٤].

ومنها ماله تأثيره الاجتماعي حيث نهى رسول الله ﷺ عن كلامهم والتعامل معهم. حتى أقربائهم في مجالات مختلفة من الحياة. يقول كعب بن مالك عن هذه الأحداث: (كنت أخرج فأشهد الصلاة، وأطوف في الأسواق فلا يكلمني أحد)[٨٥]. وبهذه المقاطعة يسدل الستار بلجوء الثلاثة إلى الله تعالى والرجوع إليه بالتوبة والندم الشديد على ما فعلوه.

ثم يقول الشيخ السعدي إن الآية تشير إلى الاقتداء بهؤلاء الأخيار بقوله: (وفي هذه الآيات دليل على إن الله تعالى منّ عليهم بالصدق ولهذا

أمر بالاقتداء بهم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾)[٨٦].

الخاتمة

بعد المطاف في البحث اذكر أهم ما توصلت إليه من نتائج، وهي كالآتي:

١- إن للتوبة مكانة عظيمة في القرآن الكريم، فقد أضفى عليها الله سبحانه وتعالى شرف ارتباطها بأسمائه الحسنى.

٢- وجعلها مطلع ذكر الصفات الجليلة للمؤمنين.

٣- وقد وردت كلمة التوبة (١٧) سبع عشرة مرة في سورة التوبة.

٤- ان مواطن التوبة في هذه السورة وصلت إلى اثنتي عشر موطناً، منها ما تعلق بتوبة المشركين والمنافقين، ومنها ما تعلق بالمؤمنين.

٥- ليس العاصي والمذنب وحده محتاج إلى توبة، بل حتى المؤمنين وخير الخلق محمدﷺ والمهاجرين والأنصار. فقد ذكر لهم موطن توبة في القران.

٦- لا يكفي الاعتراف بالذنب لقبول التوبة بل يجب رد المظالم إلى أهلها لاستكمال شروط التوبة التي مرت.

الهوامـــــش

(١) لسان العرب: ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم): ١/ ٣٣٦. مادة (توب).

(٢) معجم مقاييس اللغة: احمد بن زكريا ابن فارس: ١٥٨. مادة (توب).

(٣) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد): ٧٦. مادة (توب).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم (محمد بن أبي بكر): ١/ ٣٨٢.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: احمد بن علي بن حجر العسقلاني، كتاب الدعوات، باب التوبة، ١١/ ١٢٣.

(٦) التعريفات: الجرجاني (علي بن محمد): ٣٧.

(٧) مدارج السالكين: ابن القيم: ١/ ٣٨٥- ٣٨٦.

(٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب): ٢/ ٣٠٨- ٣٠٩.

(٩) سورة البقرة: الآية (٥٤).

(١٠) سورة النور: الآية (٣١).

(١١) سورة التوبة: الآية (٣).

(١٢) رياض الصالحين: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: ٣٣- ٣٤.

(١٣) مجموع الفتاوى: ابن تيمية: ١١/ ٥٥٠.

(١٤) مفاتيح الغيب: الرازي: ١/ ٢١٧٤.

(١٥) ينظر: علل وأدوية: محمد الغزالي: ١/ ١٣٩.

(١٦) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ٣٤/ ١٦٦. مادة: (أذن).

(١٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٤/ ١٠٣، ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٦/ ٣٠١.

(١٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٢/ ٣٣٢.

(١٩) مجموع الفتاوى: ابن تيمية: ١١/ ١٦٠.

(٢٠) ينظر: تنوع خطاب القران الكريم في العهد المدني: صالح العولقي: ١/ ٢١- ٢٢، وينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية: الشوكاني: ٦٨٣.

(٢١) تفسير ابن كثير: ٤/ ١٠٣.

(٢٢) ينظر: الدعوة الإسلامية: محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط/١.

(٢٣) سورة التوبة: الآية ٢٦.

(٢٤) مفاتيح الغيب: للرازي: ١/ ٢١٧٧.

(٢٥) ينظر: أحكام القران لابن العربي: ١/ ٢٧، وينظر: الإتقان في علوم القران: جلال الدين السيوطي: ٣/ ١٥٥، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي: ١/ ٤٩٥.

(٢٦) ينظر: الخلاصة في علوم البلاغة: علي بن نايف الشحود: ١/ ٥٠، و بغية الإيضاح: عبد المتعال: ١/٣٣٦.

(٢٧) سورة آل عمران: الآية: ٢١.

(٢٨) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني: ١/ ٢٧٢.

(٢٩) ينظر: مفاتيح الغيب: الرازي: ١٥/ ٥٢٥.

(٣٠) ينظر: مفاتيح الغيب: الرازي: ١٥/ ٥٢٩.

(٣١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور: ٦/ ٣٠٨.

(٣٢) موسوعة التوبة والترقي: ١/ ٩.

(٣٣) مدارج السالكين: ابن القيم: ١/ ٣٠٦- ٣٠٧.

(٣٤) ينظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور: ٦/ ٢٨٤.

(٣٥) ينظر: النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١/ ١٦٥، وشرح أسماء الله الحسنى: ١/ ٥٦.

(٣٦) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ١١٥.

(٣٧) ينظر: تفسير معالم التنزيل للامام البغوي: ٤/ ١٦.

(٣٨) ينظر: تفسير البغوي: ٤/ ١٦، وتفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور: ٦/ ٣٠٨،.

(٣٩) معارج القبول: حافظ الحكمي: ٧٧١.

(٤٠) سورة التوبة: **الآية:** ٥.

(٤١) ينظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور: ٦/ ٣٠٨.

(٤٢) ينظر: تفسير الشعرواي: ١٢٣٦.

(٤٣) سورة التوبة: الآية: ١٤.

(٤٤) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٦/ ٣١٤.

(٤٥) ينظر: تفسير الشعرواي: ١٢٣٧.

(٤٦) موسوعة المسلم في التوبة والترقي: ١/ ٢٥٣.

(٤٧) ينظر: أيسر التفاسير: للجزائري: ٢/ ٣٤٦.

(٤٨)سورة التوبة: الآية: ٢٦.

(٤٩) ينظر: سيرة ابن هشام: ٢/ ٤٣٧.

(٥٠) مرويات الإمام الزهري في المغازي: ٢/ ٧٧١.

(٥١) ينظر: مرويات غزوة حنين: ١/ ١٤.

(٥٢) ينظر: تفسير السعدي: ٣٣٢.

(٥٣) أضواء البيان: ٢/ ١١٦.

(٥٤) سورة المنافقون: الآية: ٨.

(٥٥) لباب النقول في أسباب النزول: ١٠٧.

(٥٦) ينظر: أضواء البيان: ٨/ ١٩٠.

(٥٧) سورة التوبة: الآية: ٧٣.

(٥٨) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٦/ ٤١٨.

(٥٩) التولي: الإعراض والمراد به الإعراض عن التوبة، ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٦/ ٤١٨.

(٦٠) أعلام الموقعين: ٣/ ١٣٠.

(٦١) ينظر: النكت والعيون: ٢/ ٣٨٣.

(٦٢) أبو الأنصاري، رفاعة بن عبد المنذر بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني: ١٤/ ٣١٢.

(٦٣) أسباب النزول: للواحـــدي: ١٧٤.

(٦٤) مفاتيح الغيب: ١٦/ ١٣٩، وينظر: تفسير الطبري: ١٤/ ٤٥٣.

(٦٥) موسوعة المسلم في التوبة والترقي، د. منير البياتي: ١/ ٣٠٥.

(٦٦) مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٣٧٦، والترغيب والترهيب: المنذري: ٤/ ٩٧- ٩٨.

(٦٧) مفاتيح الغيب: ١٦/ ١٣٩.

(٦٨) سورة الأنعام: من الآية: ٥٤.

(٦٩) ينظر: أبي السعود: ٤/ ٩٨- ٩٩، وتفسير القرطبي: ٨/ ٢٤٢، وأحكام القرآن: الجصاص: ٣/ ٢١٥.

(٧٠) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٦/ ١٤٦- ١٤٧، وأبي السعود: ٤/ ١٠٠، وزهرة التفاسير: ١/ ٣٤٣٤.

(٧١) مجمع الفتاوي: لابن تيمية: ٧/ ٤٨٧- ٤٨٨.

(٧٢) هو كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السلمي، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: العسقلاني: ٧/ ٣٠٤- ٣٠٥.

(٧٣) هو هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري، ينظر: الإصابة: ١/ ٢٥٢.

(٧٤) هو مرارة بن الربيع الأنصاري العمري، ينظر: الإصابة: ٩/ ١٥٩.

(٧٥) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٦/ ٤٥٦، وتفسير القشيري: القشيري: ٣/ ١٦٥، وأيسر التفاسير: ٢/ ٤٢٣.

(٧٦) تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٩٢.

(٧٧) مفاتيح الغيب: ١/ ٢٢٩٧، وتفسير السعدي: ١/ ٣٥٣.

(٧٨) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٢٨، وتفسير ابن عاشور: ٦/ ٤٧٢، وتفسير السعدي: ١/ ٣٥٤.

(٧٩) ينظر: الكشّاف: الزمخشري: ٢/ ٣٠٢.

(٨٠) صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب (لكل نبي دعوة مستجابة)، (٦٣٠٧)، ١٦/ ٤٢.

(٨١) تبوك: منطقة تبوك موضع شمال الجزيرة العربية بين وادي القرى والشام، وهي من مدن الحجاز الرئيسية تقع شمالاً لها إمارة تعرف بإمارة تبوك، ينظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي: ٢/ ١٤.

(٨٢) الكشّاف: الزمخشري: ٣/ ١٠٤.

(٨٣) ينظر: القصة في القران مقاصد الدين وقيم الفن: محمد قطب: ٣٦٠.

(٨٤) الزجر بالهجر: جلال الدين السيوطي: ١٠.

(٨٥) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك (رضي الله عنه)، (٤٤١٨)، ٧٧٨- ٧٧٩.

(٨٦)سورة التوبـــة: الآية: ١١٩، وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي: ٣٥٥.

المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم.**

٢. **الإتقان في علوم القران**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة (١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).

٣. **أحكام القران لابن العربي**، محمد بن عبد الله الأندلسي، دار الكتب العلمية.

٤. **أحكام القران للجصاص**، احمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

٥. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم**، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦. **أسباب النزول**، الواحدي، دار الباز، مؤسسة الحلبي، (١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م).

٧. **الإصابة في تمييز الصحابة**، احمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٨. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (١٣٩٣ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة (١٤٢٥هـ- ١٩٩٥م).

٩. **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، (١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م).

١٠. **أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

١١. **الإيضاح في علوم البلاغة**، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م.

١٢. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي علي النجار، إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

١٣. **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر، (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).
١٤. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي، دار الهداية.
١٥. **التحرير والتنوير من التفسير**: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي م(١٣٩٣)هـ.
١٦. **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١٧. **التعريفات**، علي بن محمد الجرجاني، الدار التونسية، تونس، ١٩٧١م.
١٨. **تفسير الشعراوي**: الشعراوي.
١٩. **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي م(٧٧٤)هن تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٢٠. **تفسير القشيري**: القشيري.
٢١. **تنوع خطاب القران الكريم في العهد المدني**، صالح عبد الله منصور مسود العولقي، رسالة مقدمة إلى قسم اللغة العربية بعدن لنيل درجة الماجستير.
٢٢. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).
٢٣. **جامع البيان في تأويل آي القران**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (٢٢٤- ٣١٠هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
٢٤. **الخلاصة في علم البلاغة**، علي نايف الشحود.
٢٥. **الدعوة الإسلامية تستقبل عامها الخامس عشر**، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى.
٢٦. **رياض الصالحين**، أبو بكر زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ.
٢٧. **الزجر بالهجر**، جلال الدين السيوطي، مكتبة الصحابة للطباعة والنشر، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٨. **زهرة التفاسير**، الإمام الجليل محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
٢٩. **السيرة النبوية**، لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل.
٣٠. **شرح أسماء الله الحسنى**، الشيخ خالد السبت.
٣١. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).
٣٢. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٣. **علل وأدوية**: محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى.
٣٤. **علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)**، احمد مصطفى المراغي.
٣٥. **فتح القدير الجامع بن فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي الشوكاني.
٣٦. **القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن**، محمد قطب، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣٧. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٣٨. **لباب النقول في أسباب النزول**، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار إحياء العلوم.
٣٩. **لسان العرب**، ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
٤٠. **مجموع الفتاوى**، احمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق أنور الباز- عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).
٤١. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م).
٤٢. **مرويات الإمام الزهري في المغازي**: محمد بن محمد العواجي، الطبعة الأولى، (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م).

٤٣. **مرويات غزوة حنين**، إبراهيم بن إبراهيم قريبي، الناشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٤٤. **معارج القبول بشرح الوصول إلى علم الأصول**، حافظ بن أحمد الحكمي، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م).
٤٥. **معالم التنزيل**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله نمر، عثمان جمعة خميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الرابعة، (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).
٤٦. **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت.
٤٧. **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
٤٨. **مفاتيح الغيب**: أبو عبد الله فخر الدين المعروف بالفخر الرازي، دار النشر/ دار إحياء التراث العربي.
٤٩. **المفردات في غريب القران**، أبو القاسم الحسين محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة.
٥٠. **موسوعة المسلم في التوبة والترقي في مدارج الايمان**، د. منير البياتي، دار النفائس، الأردن.
٥١. **النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٥٢. **النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، أمين بن الحسن الأنصاري.
٥٣. **الوافي بالوفيات**، الصفدي، موقع الوراق.